Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يبرز لك إلا أن تشقه عنه ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ، ثم ما كُلّ فكر يهتدى إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له فى الوصول إليه ، فما كل أحد يفلح فى شق الصدفة ، ويكون فى ذلك من أهل المعرفة »[١٦] . إن هذا النص يعد وثيقة قديمة جديدة فى آن واحد تزيد من إعجابنا بعبدالقاهر ، وتضع له قدما بين النقاد المحدثين الذين أشادوا بالغموض الشفيف وسيلة فنية فى العمل الأدبى ، وخاصة فى الشعر ، مع ملاحظة الفرق فى طبيعة الغموض بين النماذج الشعرية السابقة ، والنماذج الشعرية الحديثة التى تحفل بالرموز والأساطير والصور السيريالية المكثفة ، وهو فرق منشؤه اختلاف العصر ، وتغير مفهوم الفن عن المبدعين والنقاد على سواء .

فإذا ما أتينا إلى عبارة « مقتضى الحال » التى وردت فى تعريف البلاغة السابق رأينا البلاغيين يفسرون « الحال » بالاعتبار المناسب ، وهذا الاعتبار يختلف اختلافا كبيرا ، أو هو ذو وجوه لا حصر لها ، وكل منها يعد مقاما يتطلب خصوصية معينة فى الكلام ؛ هذه الخصوصية هى ما تعنيه كلمة « مقتضَى » وعبارة الخطيب فى هذا الشأن : « ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الأطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكى يباين خطاب الغبى ، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام »[١٧] ويذكر الخطيب كذلك أن تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو ما يسميه عبدالقاهر النظم « حيث يقول النظم توخى معانى النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام »[١٨] .

ومن المتعذر التمييز بين « المقام » و « المقتضى » واكتشاف أيهما أسبق وجودا فى الزمن فالعملية اللغوية عملية معقدة وهى تمثل وحدة متلاحمة النسيج فى

---

(١٦) أسرار البلاغة تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا ص ١١٠ – ١١١ .

(١٧) الايضاح فى علوم البلاغة ص ٧ .

(١٨) السابق ص ٨ .